الباب الأول

في نسب أبي حنيفة رحمه الله ووَرَع أبويه وزِيِّهِ وأخلاقه[1]

قال في «حقائق المنظومة»:

اعلم أنَّ النعمانَ علمُ الإمام الأعظم طيَّبَ الله مضجعه، وبرَّدَ مهجعَه، وأبا حنيفة كنيته.

---

(١) مصادر ترجمة الإمام الأعظم أكثر من أن تحصى، ذكرت ما رأيته الأهم:

طبقات ابن سعد ٦/ ٦٣٨، ٧/ ٣٢٢، طبقات خليفة ١٦٧، ٣٢٧، التاريخ الكبير ٨/ ٨١، التاريخ الصغير ٢/ ٤١، ٩٣، ضعفاء العقيلي ٤/ ٢٦٨، الجرح والتعديل ٨/ ٤٤٩، المجروحين لابن حبان ٣/ ٦١، الكامل لابن عدي ٧/ ٥، تاريخ بغداد ١٣/ ٣٢٣، جامع الأصول ١٥/ ٤٣٢، المختار من مناقب الأخيار ٥/ ٨٧، تذكرة الأولياء ٢٥٧، وفيات الأعيان ٥/ ٤٠٥، تهذيب الكمال ٢٩/ ٤١٧، سير أعلام النبلاء ٤/ ٣٩٠، تاريخ الإسلام ٦/ ١٣٥، تذكرة الحفاظ ١/ ١٦٨، ميزان الاعتدال ٥/ ٢٦٥، مرآة الجنان ١/ ٣٠٩، البداية والنهاية ١٠/ ١٠٧، تهذيب التهذيب ١٠/ ٤٤٩، النجوم الزاهرة ٢/ ١٢، طبقات الشعراني ١/ ٥٢، الكواكب الدرية ١/ ٤٦٩، شذرات الذهب ١/ ٢٢٧.

جاء في حاشية الجواهر المضية ١/ ٤٩:

كما ترجمه التقي التميمي في مقدماته لكتابه الطبقات السنية ١/ ٨٦ـ ١٩٥.

وذكر حاجي خليفة في كشف الظنون ١٨٣٦ـ ١٨٣٩ من ألّف في مناقب الإمام الأعظم، ومن ترجمه أثناء كتابه، وذيل عليه البغدادي في إيضاح المكنون ٢/ ٥٦٠ فذكر كتابين.

ومن التراجم المفردة المطبوعة في مناقب الإمام الأعظم:

مناقب الإمام الأعظم أبي حنيفة، لأبي المؤيد الموفق بن أحمد المكي الخوارزمي المتوفي سنة ٥٦٨هـ.

مناقب الإمام أبي حنيفة، لحافظ الدين محمد بن محمد بن شهاب الكردري، ابن البزازي، المتوفى سنة ٨٢٧هـ.

وقد طبع هذان الكتابان معًا، سنة ١٣١١هـ في حيدرآباد، في مجلدين، كما طبعا في =

قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ في أمّتي رجلاً اسمه نعمان، وكنيتُهُ أبو حنيفة هو سراجُ أُمّتي، هو سراج أمتي، هو سراجُ أمتي، وهو يُحيي دين الله تعالى وسنتي»[1]، فنعم من صدر اسمه وكنيته من طليقة الوحي، وسفير[2] الأمر والنهي، وكفى به شرفًا. انتهى.

وفي «المُصفّى» شرح المنظومة أيضًا عبَّر هذا المعنى بعبارةٍ أخرى، وقال: فطوبى لمن سمَّاه وكنّاه قبل وجوده أفضلُ الخلائق وسيدُ الرسل ﷺ، ومن

= مجلد واحد سنة ١٣٢١هـ في حيدرآباد أيضًا.

الخيرات الحسان في مناقب الإمام أبي حنيفة النعمان، لشهاب الدين أبي العباس أحمد بن محمد بن علي، ابن حجر الهيثمي المصري المكي، المتوفى سنة ٩٧٤هـ.

وقد طبع هذا الكتاب بمصر، سنة ١٣٠٥هـ، ثم سنة ١٣٢٦هـ.

مناقب الإمام الأعظم، لعلي بن سلطان محمد القاري، المتوفي سنة ١٠١٤هـ.

وقد طبع ذيلاً للجواهر المضية، بحيدرآباد، سنة ١٣٣٢هـ.

وللمحدثين في ترجمة الإمام الأعظم جهود مشكورة، منها:

للشيخ محمد زاهد الكوثري: «تأنيب الخطيب على ما ساقه في ترجمة أبي حنيفة من الأكاذيب»، و«الترحيب بنقد التأنيب»، و«النكت الطريفة في التحدث عن ردود ابن أبي شيبة على أبي حنيفة».

للشيخ محمد أبو زهرة: «أبو حنيفة ـ حياته وعصره وآراؤه».

للأستاذ عبد الحليم الجندي: «أبو حنيفة بطل الحرية والتسامح في الإسلام».

للأستاذ مصطفى نور الدين: «المطالب المتينة في الذب عن الإمام أبي حنيفة».

للأستاذ سيد عفيفي: «حياة الإمام أبي حنيفة وفقهه».

(١) حديث رواه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ١٣/ ٤٥٩ وقال: قلت وهو حديث موضوع تفرّد بروايته البورقي. وأخرجه ابن الجوزي في الموضوعات ٢/ ٤٨، قال القاري في موضوعاته الكبرى: هو موضوع باتفاق المحدثين. وانظر كشف الخفا ١/ ٣٣ (٥٣).

(٢) جاء في هامش (ب): السفير: الرسول المصلح بين تبليغ الأمر والنهي. صحاح. وقال عليه الصلاة والسلام: «. . . . . في أولاده، وأنا أفتخر بنعمان في أمتي، وكنيته أبو حنيفة» رحمه الله. والتتمة في التقويم.

سمّاه بنعمان، وكنّاه بأبي حنيفة، مُخبرًا عن الآتية بنور النبوة، ومدحَهُ بسراج الأمة قبل وجوده.

قال في «شرح المنظومة»: إنَّ أبا حنيفة رحمه الله النعمان بن ثابت بن كاوس[1] بن هُرْمز بن ملك شيبان من ملوك الأكاسرة، وإنَّ محمدَ بن الحسن الشيباني ابنُ عمِّ أبي حنيفة رحمه الله لأنَّ محمد بن الحسن[2] بن عبد الله بن كاوس بن هرمز بن ملك بني شيبان بن أنو شروان، وإنَّ هرمزَ قد أسلمَ على يد عمر رضي الله عنه. انتهى نقلها.

لكن رأيتُ في بعض الكتب من مناقب أبي حنيفة بأن أجداده من ملوك بني تيم الله بن ثعلبة حيث روى أحمد بن محمد المكّي عن عمرو بن حماد بن أبي حنيفة أنه قال: قال جدّي: أنا النعمان بن ثابت بن زُوطى. فإنَّ زوطى كان من أهل كابل، وهو ملك بني تيم الله. فرواية «الحقائق» و«المصفى» أوثق، ونصابها أتمُّ.

رُوي أنَّ أبا حنيفة رحمه الله قال: سمعتُ أنَّ أبي ثابتَ ذهبَ في حال صغره إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه زائرًا، فلمّا لقيه قبَّلَ رجليه، فدعا عليٌّ رضي الله عنه له بالبركة والعلم والصلاح ولذرّيته، ومن بركات دعائه رحمه الله وثمراتها كان أبناءُ ثابت وأسباطُهُ مستيقظين[3] في زمانهم وقرونهم بالفقه والورع والإنصاف.

رُوي أنَّ النبيَّ ﷺ بيّنَ ذكاءَ أهل الفارس ومدحه حيث قال: «لو كان

---

(١) في (أ) و(ب): بن طاوس.

(٢) جاء في هامش (ب): وأدخل الألف واللام لا يجوز، إلا إن كان مشتركًا. أجيب: بأنهما للتعظيم لا للتعريف كلفظة: علقمة والحسن والحسين وغيرها.

(٣) في (ب): وأسباطه مستفيضين.

العلم[1] معلَّقًا بالثُّريا لناله رجالٌ من الفارس»[2]. قيل: فواحدٌ منهم أبو حنيفة. فأنشدَ فيه عبدُ الله بن المبارك[3]:

لقد عمَرَ البلادَ ومَنْ عليها ... إمامُ المسلمين أبو حنيفهْ
بآثارٍ وفقهٍ [عالياتٍ] ... كآياتِ الزَّبورِ على الصَّحيفهْ
فما بالمشرقينِ له نظيرٌ ... ولا بالمغربين ولا بكوفهْ[4]
فقيهًا كان للإسلام نورًا ... إمامٌ للأنامِ وللخليفهْ
فلعنةُ ربِّنا أعدادَ رملٍ ... على من يبغضنَّ أبا حنيفهْ

فصل: رُوي أنَّ ثابت بن كاوس[5] رحمه الله كان في شبابته زاهدًا ورعًا، وكان يومًا يتوضَّأُ في جدولٍ، وجاءتْ تفاحةٌ بالماء، فأمسكها، فأكلها بعد الفراغِ من الوضوء، ثم تبزَّقَ، ورأى بزاقه دمًا[6]، قال في نفسه: فلعلَّ ما أكلتُهُ حرام، وإلاَّ لما تغيَّرَ بزاقي. فتبع رأسَ النهر، فوجد شجرةً تفاحُها مثلُ ما أكل، فطلب صاحبَها، فوجده، فقصَّ عليه القصة، فأعطاه درهمًا، وقال: اجعلْها في حلٍّ. فلمّا رأى صاحبُ التفاحة مرتبتَهُ وورعَهُ وصلابته في دينه بحداثة سنه، احتالَ عليه بالامتحان، فقال: لا أرضى بدرهمٍ ودراهمَ كثيرةٍ، ولو بألف. فقال: فبم ترضى؟ فقال الرجل: إنَّ لي ابنةً أكمه أبكم وأصم ومقعد ـ أي: لا ترى ولا تنطق ولا تسمع ولا تمشي ـ فإنْ قبلتها للزوجية أجعلُها في حلٍّ، وإلاَّ أخاصمُ بك يوم السؤال والحساب. فثبت ثابتٌ في الفكر ساعةً، ثم قال في

---

(١) في هامش (ب): وفي رواية «مشارق»: «لو كان الإيمان» بدلاً من «لو كان العلم».
(٢) أخرجه أحمد ٢/٤١٧، والبخاري (٤٨٩٨)، ومسلم (٢٥٤٦) والترمذي (٣٣١٠) و(٣٩٣٣) عن أبي هريرة.
(٣) وتنسب الأبيات إلى الإمام الشافعي أيضًا، انظر ديوانه ١٤٢.
(٤) في (أ) و(ب): ولا بالكوفة.
(٥) في (أ) و(ب): بن طاوس.
(٦) في (ب): ثم بصق، ورأى بصاقه.

نفسه: عذابُ الدنيا أسهلُ وينقضي، وعذابُ الآخرة أشدُّ وأبقى. فأجابَ بنكاحها[1]، وعقداه عند الشاهدين، ثم لمّا دخلَ عليها في الزفاف، استقبلته وقبَّلَتْ يده، فوجدها ماشيةً مُبصرةً، سميعةً ناطقةً حسناءَ، فاشتبه الأمرُ على ثابت، فقال: مَنْ أنتِ؟ فقالت: أنا زوجتُكَ بنتُ فلان. قال: وجدتُك على خلافِ ما وصفك أبوك! قالت: نعم، فإنّي كنتُ بعد ستة سنين لم أطأ خارجَ البيت، ولم أنظرِ الأجانب ولم أسمعْ كلامَهم، ولم يسمعوا كلامي. فعرفَ ثابتٌ الحال، وقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٣٤].

هيهات، لا يأتي الزمانُ بمثل ثابتٍ ولا بمثلِ صاحبته، فلا عجبَ أن يتولّدَ منهما ولدٌ في صورة الإنسان، وسيرة المَلَكِ، وعلم النبيِّ ﷺ حتى شاعَ مذهبُهُ في الأقطار.

رُوي أنَّ الإمام قال: لو لم يكن أبي ثابتٌ يبتلعُ اللُّقمةَ التي عضَّها من التفاحة لعالَ وحالَ[2] ذهني قدر ثلث ما كان الآن.

قال يحيى بن نصر: إنَّ أبا حنيفة كان أحسنَ الناس خَلقًا وخُلقًا، وأَلينَهُم كلامًا، وأفصحَهم مَنطقًا، وألذَّهم نعمةً، وأسخاهم نفسًا على ما يَملكُ، وكان وسط القامة، وله أذنان عريضتان، وهامةٌ عظيمة، وثنياه نابتان[3]، وكان إذا خرجَ من منزله يُعرفُ ريحه[4] قبل أن يراه الناس.

وقال: رأيتُ على الإمام رداءً فيه علمُ ديباج من جانبيه.

---

(١) في (أ): فأجاز بنكاحها.
(٢) في (ب): لطال وجال.
(٣) في (ب): وثنياه ناتئان.
(٤) في (ب): يعرف ريح المسك.

قال في «البزازية»[1]: كان الإمام يرتدي برداءٍ قيمتُهُ أربعمئة دينارٍ، وكان يقولُ لتلاميذه: إذا رجعتم إلى بلادِكم فعليكم بالثيابِ النفيسة.

قال أبو يوسف رحمه الله: كان الإمامُ صائنًا لنفسه ودينه، وكان حَمولاً وصبورًا، مجانبًا عن أهل الدنيا، وبذولاً للعلم والمال، مُستغنيًا عن الناس، وكان شديدَ الامتناع عن المحارم وعن فضول الكلام والطعام، شديدَ الرغبة بطاعة الله تعالى، طويلَ الصمت[2]، وكان إذا سئل يجيب بما علم والإقالةِ على النصوص، فإذا لم يجده يقول: لا أدري، وله خصالٌ حميدة لا تُحصى.

❊ ❊ ❊

(١) البزازية: في الفتاوى: للشيخ الإمام حافظ الدين محمد بن محمد بن شهاب المعروف بابن البزاز الكردري الحنفي المتوفى سنة (٨٢٧هـ) وهو كتاب جامع، لَخَّصَ فيه زبدة مسائل الفتاوى والواقعات من الكتب المختلفة، ورجّح ما ساعده الدليل. كشف الظنون ١/ ٢٤٢.

(٢) في هامش (ب): فمن كان شأنه الصمت ودوام الفكر، فقد أُوتي الحكمة، ومن أُوتي الحكمة فقد أُوتي خيرًا كثيرًا.